فيترك للإطاعة أنفع له وأسلم ولذلك نوافل الصلوات إذا انجرد فيها باعث الرياء وجب تركها
فأما إذا خطرت له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا ينبغي له أن يترك الصلاة
لأن آفة الرياء في العبادة ضعيفة وإنما تعظم في الولايات والتصدي للمناصب الكبيرة كالعلم
وبالجملة فالمراتب ثلاث الأولى الولايات والآفة فيها عظيمة وقد تركها جماعة من
السلف خوفا من الآفة، الثانية الصلاة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها أقوياء
السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم تركها لخوف الآفة وذلك لضعف الآفات الداخلة
فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوة، الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين
الرتبتين وهي التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس والآفات فيها
أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلوات والصلاة لا ينبغي أن يتركها الضعيف والقوي
ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء دون الأقوياء ومناصب
العلم بينهما ومن جرب آفات مناصب العلم علم أنها بالولايات أشبه وأن الحذر منها
في حق الضعيف أسلم والله أعلم وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على
المستحقين فإن في الإنفاق وإظهار السخاء استجلابا للثناء وفي إدخال السرور على قلوب
الناس لذة للنفس والآفات في ذلك أيضا كثيرة، ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت
ثم أمسك وآخر أخذ فوق قوته ثم تصدق به فقال القاعد أفضل وذلك لما يعرفون من
قلة السلامة في الدنيا وأن من الزهد تركها قربة إلى الله تعالى، وقال أبو الدرداء ما يسرني لو قمت
على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين دينارا أتصدق بها أما إني لا أحرم البيع والشرا
ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وقد اختلف العلماء
في ذلك فقال قوم إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق به فهو أفضل من أن يشتغل
بالعبادات والنوافل، وقال قوم الجلوس في دوام الذكر أفضل والأخذ والعطاء يشغل
عن ذكر الله، وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر تركك لها أبر وقال أقل ما فيه أنه
يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أفضل وأكبر وهذا فيمن سلم من الآفات فأما من يتعرض
لآفة الرياء فتركه لطلب الدنيا واشتغاله بالذكر أفضل بلا خلاف وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس

٢٩

لذة فهو مثار الآفات والأحب أن يعمل ويدفع الآفة فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه
وليزن خيره بشره وليفعل ما يدله عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع وبالجملة ما يجده أخف على
قلبه فهو أضر عليه غالبا لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه وإن كان
لا يبعد ذلك أيضا في بعض الأحوال وهذه أمور لا يمكن تفصيلها بنعم أو لا بل هي موكولة
إلى اجتهاد القلب لينظر فيها لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ثم قد يقع فيما ذكرناه غرور
للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وذلك عين البخل ولا خلاف أن إنفاقه في المباح فضلا
عن الصدقات أفضل من إمساكه وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب هل الأفضل ترك الكسب والتجرد
للذكر أو الكسب للحلال والإنفاق في الخيرات وذلك لما في الكسب من الآفات فأما المال الحاصل من الحلال
فتفرقته أفضل بكل حال من إمساكه فإن قلت فبأي علامة يعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص
في علمه ووعظه غير مراء أم هو بخلاف ذلك فاعلم أن لذلك علامات إحداها أنه لو ظهر من
هو أحسن منه وعظا أو أغزر منه علما والناس له أشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا بأس
بالغبطة أن يتمنى لنفسه مثل علمه والأخرى أن يكون لو حضر الأكابر مجلسه لم يتغير كلامه بل
يبقى على ما كان عليه فينظر إلى الخلق بعين واحدة والأخرى لا يحب اتباع الناس له في الطريق ولا
المشي خلفه في الأسواق ولذلك علامات كثيرة يطول إحصاؤها، قال سعيد بن أبي مروان
كنت جالسا إلى جنب الحسن في المسجد إذ دخل علينا الحجاج المسجد راكبا على برذونه ومعه الحرس
فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها ونزل ومشى إليه فلما رآه الحسن متوجها إليه
تجافى له عن ناحية مجلسه، قال سعيد وتنحيت له حتى صار بيني وبين الحسن والحسن يتكلم كما
يتكلم كل يوم ولم يقطع كلامه، قال سعيد فقلت في نفسي لأبلون الحسن ولأنظرن هل يحمله
جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه أو تحمله هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه
فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما يتكلم به كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه فلما فرغ وهو غير
مكترث رفع الحجاج يده على منكب الحسن وقال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس
فاتخذوها حلقا وعادة فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مجالس الذكر رياض الجنة
ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها ثم ابتدأ الحجاج وتكلم حتى

رحمه الله

Copyright © King Saud University